

الفصل السادس

مواصلة الدراسة في ظل تداعيات حركة ١٩٦٣

يغطي هذا الفصل من مشروع مذكراتي الفترة من ١٩٦٣-١٩٦٥. ويتضمن ثلاثة أقسام : أولها : مواصلة الدراسة الجامعية في مصر. ثانيها : هجرة المهاندة إلى الكويت. ثالثها : منعي من دخول مصر وتوابعه.

مواصلة الدراسة الجامعية في مصر

قضيت الاجازة الصيفية في قطر بين الأهل والأصدقاء في الظروف التي شهدتها قطر في صيف عام ١٩٦٣ ، وهي ظروف حزينة بسبب السجن والفصل والإبعاد الذي تعرض له عدد من القطريين دون محاكمة او مراعاة لأهل قطر ، وإنكار حقهم في التعبير السلمي عن مشاعرهم القومية ، وحقهم في إعلان الإضراب السلمي مستنكرين إطلاق الرصاص على المتظاهرين ، ومن أجل الحصول على حقوقهم وتحقيق المساواة والعدل والإنصاف الذي عبرت عنه عريضة لجنة الاتحاد الوطني.

وبعد انقضاء العطلة الصيفية عدت إلى القاهرة على حسابي الخاص بعد أن فصلت من البعثة الدراسية بسبب مشاركتي في بيان طلاب القاهرة المؤيد لحركة ١٩٦٣ والمستنكر للاعتقالات. واصلت الدراسة في السنة الثانية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية حيث اخترت شعبة الاقتصاد بالكلية وانهمكت بكل جد في الدراسة وإعطاء كل جهدي لها.

أحببت علم الاقتصاد لما فيه من إمكانيات تحليلية تشد الفكر منذ أن درست مبادئ الاقتصاد السياسي على يد رفعت المحجوب ، فوجدت إلى جانب رفعت المحجوب في السنة الثانية في قسم الاقتصاد ، أساتذة كبار منهم : عميد الكلية زكي شافعي يدرسنا النقود والبنوك وسعيد النجار يدرسنا التجارة الخارجية و رياض الشيخ يدرسنا نظرية القيمة وعدد من الاساتذة الكرام. ولم يكن معي في الكلية من زملاء القطريين سوى أحمد السويدي الذي اختار قسم العلوم السياسية بعد أن غيّر أحمد الخال بلد الدراسة وذهب إلى سوريا ومن ثم إلى العراق للدراسة هناك. ومن زملاء الدراسة الآخرين في السنة الأولى لم يبق معي في قسم الاقتصاد سوى غيث سالم سيف النصر ، بعد أن اختار خالد بن أحمد الخليفة قسم العلوم السياسية.

اندمجت في الدراسة وحرصت على القيام بالبحوث ما أمكن. ومن حسن الصدف اختياري النفط موضوعا لبحثي في إحدى مواد الدراسة ، مما جعلني أرتاد مكتبة الجامعة الأمريكية في القاهرة بحثا عن مراجع حديثة في اقتصاديات النفط . وهناك وجدت ضالتي التي تمثلت في بحوث مؤتمرات البترول العربي الثلاثة الأولى ، وقد فوجئت بما ضمته مجلدات كل مؤتمر من بحوث تتناول جوهر المشاكل الاقتصادية والصناعية والإستراتيجية التي تواجه صناعة النفط العربية ذات الأهمية المستقبلية للعرب بشكل عام وللدول المصدرة للنفط على وجه الخصوص. وعند الاطلاع على مجلدات مؤتمر البترول العربي التي تناولت النفط العربي من حيث الأهمية الإستراتيجية ومن منظور توطين صناعة النفط وتقنياتها وإدماجها في اقتصاديات الدول المنتجة والاستفادة القصوى من امكانيات الثروة النفطية في التنمية ، كما أهتم مؤتمر البترول العربي باتفاقيات النفط وبينت بحوثه أوجه الاجفاف فيها. ومن بين تلك البحوث الغنية شدتني بحوث عبد الله الطريقي حول أسعار النفط فاخترت أسعار النفط وأضفت عائداته موضوعا لبحثي.

ومنذ ذلك الوقت أصبحت اقتصاديات النفط وإمكانياته التنموية مركز اهتمامي ومتابعتي. ولعل هذه البداية هي من بين ما دفعني إلى اختيار "عائدات النفط في امارات الخليج العربي : نمط تخصيصها وانعكاساتها على التنمية الاقتصادية " موضوعا لرسالة الدكتوراه التي بدأتها في جامعة درم بانجلترا في عام ١٩٧١ ونلتها عام ١٩٧٤ (١).

ولا يفوتني ان أذكر كم كنت حزينا عندما أوقفت الجامعة العربية ومنظمة أقطار العربية المنتجة للبترول (الوابك) انعقاد مؤتمر البترول العربي عام ١٩٧٤ واستعاضت عنه بمؤتمر الطاقة العربي الذي لم يعد عربي الاهتمام ولا الحضور. وذلك عندما تحول التركيز عن طبيعة النفط الناضب وضرورة بناء قاعدة اقتصادية بديلة له من خلال توطين صناعته وتنمية الصناعات القائمة عليه وإستيعاب تقنياتها وتنمية الكوادر الوطنية العاملة فيه والاستفادة من إمكانيات النفط في التنمية التي ركز عليها مؤتمر البترول العربي ، إلى مجرد طاقة حسب اهتمام مؤتمر الطاقة العربي ، يجب تأمينها للدول المستهلكة بصرف النظر عن القدرة الاستيعابية المنتجة للدول المصدرة.

ومن الأمنيات التي أرجو أن يعينني الله على تحقيقها أو يهيئ لها من يتبناها ، هي اعادة فكرة مؤتمر البترول العربي بشكل من الأشكال مع مهتمين آخرين في شكل مؤتمر أو ندوة تسعى لتنمية الوعي العربي بأهمية الاستفادة من

إمكانيات النفط والتنبيه إلى خطورة الاعتماد عليه ، والتي كثر الكلام حولها وقلّ العمل من أجل تصحيحها ، ليعيد العرب عامة وشعوب وحكومات الدول المصدرة للنفط خاصة ، اهتمامهم الذي فقده بالنفط بوصفه مورداً استراتيجياً ناضباً يجب تحويل إمكانياته المالية والصناعية والإستراتيجية إلى مداخل أساسية في عملية تنمية مستدامة قادرة على بناء قاعدة اقتصادية بديلة للنفط عندما تتراجع حتما مساهمة عائدات النفط في مختلف مصادر الدخل بسبب النضوب المنتظر أو لأي سبب تقني أو اقتصادي أو سياسي آخر.

عندما عدت إلى القاهرة كان زميلي في السكن في شقة حي المهندسين القريبة من مزلقان بولاق الدكرور أحمد عبد الله المنصور قد أنهى دراسته في مصر وعاد إلى قطر ، فانضم إلي في السكن الصديق حسن نعمة الذي بدأ دراسته في كلية الآداب في جامعة القاهرة في ذلك العام. كان حسن مبتهجاً بوجوده في القاهرة مستعداً لحياتها الثقافية والاجتماعية ومتهيئاً للتفاعل مع ألكتاب والأدباء، ملحقاً بشعره منبهراً بقاء من كان يسمع عنهم من أساتذة وكتاب ومثقفين بعد أن أصبح قريباً منهم ومنخرطاً في حلقات تفاعلهم. ولذلك صدم حسن أشد صدمة عندما منع من دخول مصر مثل عدد كبير من الطلاب العرب ، عند عودته من الاجازة الصيفي من قطر في سبتمبر عام ١٩٦٤. ولم تعوضه بيروت التي انتقل للدراسة فيها في جامعة بيروت العربية ، من تلك الصدمة التي افقدته متعة الجو الادبي والفكري للقاهرة في ذلك الوقت.

عشنا في القاهرة حياة الطلبة الاعتيادية مستمتعين بما نحن عليه ، وتفاعلنا مع محيطنا وكنت حريصا على عدم الزج بنفسي في الصراعات السياسية ، وان كنت قد ترددت مع بعض الزملاء على ندوات وشاركت في قراءة كتب هامة وتلخيصها وعرضها على مجموعة صغيرة من الزملاء. وأذكر انني قرأت كتابا مترجما لدوجلاس نائب رئيس جمهورية يوغسلافيا ، المسجون بسبب ذلك الكتاب الذي يحمل عنوان "الطبقة الجديدة" ويعني بها اصحاب النفوذ في نظم الحكم الاشتراكية ذات التخطيط الشامل المركزي السائدة في الاتحاد السوفيتي والمعسكر الشرقي ويوغسلافيا في ذلك الوقت ، والتي تسعى إلى إلغاء الطبقات ولكنها في الواقع تقيم طبقة جديدة تتحكم في الدولة والمجتمع. كما قرأت في تلك الفترة او بعدها بقليل كتاب منيف الرزاز "معالم الحياة العربية الجديدة" وكتاب عبد الله عبد الدائم "القومية والإنسانية" وكتاب ناجي علوش "الثورة والجماهير". وفي سياق هذه المجموعة توطدت علاقتي بعدد من طلاب البحرين منهم علي صالح الصالح رئيس مجلس الشورى في البحرين حاليا وعبد الرحمن يوسف فخرو العضو البارز في غرفة تجارة البحرين في الوقت الحاضر.

وبعد فترة قصيرة من السكنى في شقتنا القديمة سحنت لنا فرصة الانتقال إلى شقة أخرى في ٥ شارع أحمد مسعود بحي الدقي ، بعد أن أخلاها زملاؤنا عبد اللطيف الجابر مبعداً من مصر وجاسم زيني بسبب رغبته الانتقال إلى كلية الفنون الجميلة في جامعة بغداد بعد أن جرب حظه في الطب والحقوق ولم توافق أي منهما طبيعته الهادئة الحالمة وموهبته الفنية المتميزة. وبهذا الانتقال أصبحنا على مقربة من جامعة القاهرة لا نحتاج لأكثر من عشر دقائق مشيا على الاقدام للوصول إلى كليتنا. كما أصبحنا في وسط منطقة يسكنها الكثير من الطلاب العرب وفيها أندية وروابط طلابية عربية نشطة ، إضافة إلى قربها من وسط البلد و المسارح والسينمات والمطاعم حيث نقضي سهرتنا فيها في نهاية الاسبوع.

كان علي بحكم شح الامكانيات المالية ، أن ألجم رغبة حسن نعمة في الصرف وشراء الفواكه الغالية وأكتفي بما هو أساسي من الطعام ومنه الارز واللحم والخضار. لذلك كان الشهر الذي أمسك فيه مصروف البيت ، شهراً متقشفاً فلا أشتري من الفاكهة عند الضرورة إلا فاكهة الموسم معتدلة الثمن. أما في الشهر الذي يتولى فيه حسن مصروف البيت فإن المصروفات تزيد ويذهب معظم الميزانية إلى شراء ما لذ وطاب من الفاكهة او " الميوه " كما يسميها حسن ، على حساب الأساسي من الطعام.

وكانت مشكلتي هي ميزانية الكتب فحسن محبٌ للكتاب ، يرتاد المكتبات ويقضي أوقاتنا على سور الأزركية والمكتبات القديمة يتصيد فيها الكتب القديمة النادرة ، وكان ذلك يشعرنني بالحرمان فميزانيتي لا تكفي للشراء عندما أرافق حسن. وذات مرة سألتني حسن إن كنت أريد كتابا من سور الازبكية فقلت له نعم أريد كتاب "الاحصاء في علم ما استعصى" ، وكنت أمزح معه إلا أن حسن أمضى وقتنا طويلا يبحث عن ذلك الكتاب وسط استغراب البائعين الذين لم يسمعوا بهذا العنوان وإن كانت نعمة العنوان ليست بغريبة على عناوين الكتب القديمة التي يعرضونها.

ومن الصدف الجميلة أن التقينا في القاهرة بالعم محمد بن راشد الخاطر وابنه راشد الذي أصبح منذ ذلك اليوم أماً لم تلده أمي كما يقال ، وهو من أعز الاصدقاء وأقربهم إلى نفسي حتى اليوم. كان أبو راشد يزور القاهرة مع ابنه راشد البالغ من العمر حوالي ١٧ عاماً للعلاج ولإجراء عملية اللوز لراشد. وقد قضينا معهما أوقاتاً طيبة زرناهم في المستشفى وبادلون الزيارة في شقتنا في الدقي وسعدنا بهما في غربتنا. واستمرت علاقتي بالأب صديق الشباب ، وأبنه راشد وبقية أبنائه وعدد من آلخاطر الكرام من أهل الوكرة ومن أهل الجبيل في المملكة العربية. وبعد العودة لقطر ، ومن خلالهم تعرفت إلى الرجل النبيل جابر بن ناصر البو حسين و أهل الوكرة الكرام وقضيت فيما بعد أوقاتاً طيبة مع الشباب نلعب المونوبولي ونطبخ الغبقات في بيت منصور بن محمد ومنصور بن أحمد الخاطر بصحبة محمد حسين المفتاح وعبد الله حمد والأستاذ عبد الله احمد الذي يلعبه أهل الوكرة بالكويتي.

مر العام الدراسي عليّ بين الانهماك في الدراسة ومتابعة الوضع الحزين في قطر وما يصلنا من أخبار السجناء والمبعدين. وفي نهاية العام قدّمت الامتحان ونجحت بتقدير جيد في السنة الثانية بقسم الاقتصاد وعدت إلى قطر في الاجازة ، بينما اختار عدد كبير من الطلاب العرب البقاء في القاهرة حتى انتهاء دراستهم الجامعية خشية عدم السماح لهم بدخول مصر في حال مغادرتها. وكان الأمل يحدوني في أن يعدّ نجاحي بتقدير جيد في قسم الاقتصاد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية سبباً تقدره حكومة قطر ويؤدي الى الغاء قرار الفصل من البعثة الدراسية ورفع عني أسوة ببعض زملائي ، لكي أتمكن من مواصلة دراستي في علم الاقتصاد الذي أحببته حبا جما كما يقال ، إلا أن ذلك الأمل لم يتحقق بل دخلت في مرحلة أصعب سوف أتحدث عنها في القسم الثالث من هذا الفصل إن شاء الله.

الملاحظات

link to Dr.Alkuwari PHD thesis : Oil Revenue of the Arabian Gulf Emirates :Pattrens -١
impact on economic development & of allocation

http://etheses.dur.ac.uk/8012/1/8012_5012.PDF?+UkUDh:CyT

هجرة المهاندة إلى الكويت

كان عام ١٩٦٤ كما سبقت الإشارة ، عاما حزيناً بالنسبة للشعب القطري ، شهد تدايعات حركة ١٩٦٣ وأخطرها هجرة المهاندة من قطر إلى الكويت. وذلك بعد أن أجهضت السلطة الحركة وسجنت ثم أبعدت أبرز المشاركين فيها ما عدا ناصر المسند وحمد العطية اللذان ابقتهما السلطة في السجن خشية انتقال صوت المعارضة إلى الخارج.

وقد تمت إجراءات ذلك السجن والإبعاد الذي طال عائلات تعتبر نفسها شريكة في تكوين قطر الحديثه ، دون مراعاة للعلاقات التقليدية في المجتمع القطري ودون محاكمة او حتى تحقيق يستجلي الامر ، مما جعل أهل قطر عامة والمهاندة خاصة يشعرون بالظلم لما كان يعانيه عبد الله بن علي المسند من ضيم جعله يفرض على نفسه العزلة في الخور ، لا يغادرها بسبب استمرار سجن ابنه ناصر المسند دون وجه حق.

وفي هذا العام أيضا شهدت قطر بدء انحسار مساحة تعبير القطريين علنا عن مظالمهم كما اعتادوا ، مما أحدث غصة في الصدور وإحباط عام ، لما اتسمت به عقوبات السلطة من إجراءات قاسية غير مسبوقه طالبت شخصيات من مختلف العائلات القطرية ، وأسكتت اصوات وجوه العائلات والقائمين على لجان عمال النفط التي اعتادت على التعبير العلني السلمي بصدق وصراحة في مواجهة الحاكم. وذلك خشية الوشاية أو التجسس الذي انتشر والنقل غير الامين لأحاديث المجالس واللقاءات. هذا بعد أن كان التعبير العلني هو ما اعتاد عليه أهل قطر قبل النفط وحتى ذلك الوقت ، ولكن السلطة هذه المرة قررت تغيير أسلوب حكمها التقليدي الذي كان يتيح فرصة لدفع الظلم.

وجدير بالملاحظة ، ان معظم القطريين منذ بداية عصر النفط قد خضعوا مجبرين لمنطق التمييز بينهم عند إعادة توزيع عائدات النفط ، دون أن يقبلوا بذلك التمييز أو يقرروا بالحق في الاستحواذ على المال العام الذي لا يوجد له اساس شرعي أو عرفي في قطر. وقد عبر القطريون عن ذلك الاعتراض عندما أطلقوا تسمية "أهل البيب" ، تنكيرا لإفراد الاسرة الحاكمة أن ما يتميزون به من دخل عال ومستويات معيشة مرفهة هو من المال العام و مصدره النفط الذي يحمله الأنبوب (البيب) الذي ينقل النفط من منطقة الانتاج في دخان إلى ميناء التصدير في مسعيد.

ويؤكد أهل قطر في إطلاق هذه التسمية المستنكرة لتقسيم أهل قطر بين أهل البيب وبقية القطريين ، على أن الوصول للحكم في قطر لم يكن بحد السيف وإخضاع السكان لعصبية تعتبر أرض قطر غنيمة لها يتوارثها الأبناء من الأباء ، وإنما نبعت السلطة من المجتمع القطري من خلال تراضي ورغبة مناطق وقبائله وعائلاته. فقد برزت السلطة الراهنة التي استقرت في قطر منذ بداية القرن العشرين معبرة عن تعاضد سائر المناطق والقبائل والعائلات القطرية في الدفاع عن قطر تجاه التهديد الخارجي ، ولذلك يعتبر أهل قطر انفسهم شركاء في وطنهم متساوون مع أفراد الاسرة الحاكمة ، ولم ينكر عليهم حاكم قبل عصر النفط تلك الشراكة ، بل كان يعول عليها في مواجهة التهديدات الخارجية واكتساب الشرعية.

ولكن القطريون بالرغم من قبولهم مضطرين ، ذلك التمييز البغيض بينهم في عصر النفط ، لم يعتادوا على التعرض لهم بالسجن وإبعاد والفصل والمنع من العمل ، انتقاما من كل من رفع صوتا مطالبا بحق أو أيد من يطالب الحاكم بصدق وصراحة بحق من الحقوق المشروعة. فالمجتمع القطري الذي تكون في القرن التاسع عشر قبل ان تستقر السلطة فيه ، ومفهوم الشعب القطري الذي برز ونمى به الوعي مع عصر النفط (١) ، معتادا على علاقات تقليدية فيها قدر من الاعتبار لأهل قطر ، يراعي فيها الحاكم أهل قطر متجنباً إثارة مكونا رئيسيا من مكونات المجتمع القطري ومحجما عن اللجوء للحلول الامنية الجماعية ، بل يحل المشاكل ويلبي ما يراه من المطالب دون انتقام ممن يواجه الحاكم بمطالب قبلية أو عمالية او وطنية عامة. وهذا ما شهدته في الغالب العلاقة بين قبائل قطر وعائلاتها و كذلك علاقة لجان عمال النفط بحاكم قطر ، حتى قيام حركة ١٩٦٣.

ولكن للأسف هذه المرة لم يتسع صدر السلطة للمطالب العادلة التي تقدمت بها عريضة لجنة الاتحاد الوطني التي مثلت عمال النفط وشخصيات عامة ، ولم تستجيب السلطة بسرعة لمطلب محاكمة من أطلق الرصاص على

المتظاهرين ، ولم تلتقي بمن هم في موقع الحديث باسم العريضة والتفاهم معهم. بل ركنت بسرعة إلى قوة شرطة قطر بقيادة كوكرن الذي سمي نفسه محمد المهدي والضباط الانجليز الآخرين ، بحجة أنها لا تتفاوض تحت الضغط معتمدة في ذلك على تفاهات حكومة بريطانيا الخاصة لعام ١٩٥٨ بحماية الحكم في قطر من أي اضطرابات داخلية ، وبدأت تزج في السجن بمن كان عليها الحوار معهم ، دون تهم محددة ودون اعتبار للعلاقات التقليدية التي تربط أهل قطر بحاكمها ، مما سعد الموقف بدل ان يحتويه.

وفي تقديري ان تصرف السلطة على النحو الذي سلكته لم يكن ممكنا لو لا تأييد سلطة الحماية البريطانية للقمع الذي حصل - بالرغم من اعتراف المعتمد السياسي في قطر بعدالة معظم مطالب عريضة ١٩٦٣ - ، خوفا على مصالحها غير المشروعة من المد القومي العربي في ضوء ما كانت تواجهه بريطانيا في عدن والجنوب العربي آن ذاك. ويمكن متابعة موقف سلطات الحماية البريطانية في قطر ومعرفة حدوده وإجلاء دوافعه ، من دراسة الوثائق البريطانية ومراسلات المقيم السياسي في الخليج والمعتمد السياسي في قطر وسفير بريطانيا في الكويت خلال هجرة المهاندة للكويت أواخر عام ١٩٦٤ ، بشكل خاص (٢). ومثل هذه الدراسة خارج حدود هذه المذكرات وتحتاج إلى مدى زمني أطول وافق أوسع ، وأحيلها للباحثين الشباب الذين عليهم واجب دراسة مواقف سلطات الحماية البريطانية من الحركة العمالية والتحركات الشعبية في قطر من خلال الوثائق البريطانية المتاحة اليوم ، خاصة من فترة انتهاء الحرب العالمية الثانية وبدء إنتاج النفط حتى عام ١٩٧٠ عندما نالت قطر استقلالها رسميا.

وكذلك كان هناك تأثير بالغ للتسوية التي تمت بين أطراف العائلة الحاكمة في عام ١٩٦٠ وانتقل بموجبها الحكم للشيخ احمد بن علي وأصبح الشيخ خليفه بن حمد وليا للعهد ونائبا للحاكم ، على خيار القمع الذي طال أصدقاؤه وحلفاء للشيخ خليفه بن حمد عندما كان يطالب بولاية العهد خلال فترة حكم عمه الشيخ علي بن عبد الله. وربما يكون الضعف الذي بدأ ينال مصر بعد الانفصال ودخولها حرب اليمن فضلا عن صراع القوى القومية العربية وتشرذمها ، قد أضعف الحاضنة العربية المنتظرة لحركة ١٩٦٣ وسهل لحاكم قطر إجهاضها.

في هذا الجو من الحزن والأسى الذي أصبح يشعر به الشعب القطري تجاه هجمة السلطة المطلقة فيه على المجتمع الضعيف ومكتسباته ، بدأت فكرة الهجرة من قطر تمثل مخرجا لدى البعض من الوضع المتدني الذي وصل إليه القطريين ومكانتهم الاجتماعية والسياسية فضلا عن الضيق في سبل الرزق وتدني مستويات المعيشة ، كما سبقت الإشارة. ولذلك وجدت فكرة هجرة المهاندة من قطر إلى الكويت في خريف ١٩٦٤ وهي أكبر تداعيات حركة ١٩٦٣ ، أرضية مناسبة.

والسبب المباشر لهجرة المهاندة كان استمرار حبس ناصر المسند الذي أصبح استمرار سجنه مؤذيا لمشاعر عائلة المسند خاصة وتحديا لقبيلة المهاندة وأهل قطر بشكل عام ، مما جعل البعض من أهل قطر يستحضر مفاهيم قبلية سابقة في غير زمانها ، ومنها هجرة القبيلة لموطنها عندما تشعر بالضميم الذي لا تستطيع له رداً .

وجدير بالذكر أن مفهوم الهجرة عند القبائل العربية في الماضي لم يكن تركاً للوطن بل هو نزوح مؤقت فحسب حتى تستطيع القبيلة المهاجرة أن تشعر بمصدر الضيم بأهميتها عندما سحبت - بهجرتها - تأييدها له وتحالفها معه ، وربما تعني هجرة القبيلة - في الماضي - استعدادا لعودة مشرفة ترفع الضيم وان احتاجت إلى التحالف مع آخرين للتعزيز من موقفها وقوتها. ويمكننا ان نقرن - مع الفارق - هجرة القبائل العربية في الماضي بمفهوم اللجوء السياسي اليوم حيث يكون اللاجئون السياسيون رأس الحربة في مقاومة النظام الذي اضطرتهم الى الهجرة من أوطانهم .

وحسب تقديري فإن مسألة هجرة المهاندة من قطر مسألة طارئة نشأت عن تطورات الاحداث ولم تكن محسوبة أو مرغوبة في حد ذاتها من قبل من اضطرت إليها ، ولكنها كانت مظهرا لانسداد افق الحلول وإصرار السلطة على استمرار سجن ناصر المسند ورفيقه حمد العطية دون تقديمهما لمحاكمة. هذا التعتن من قبل السلطة الحاكمة واستمرارها في سجن ناصر وحمد لمدة فاقت العام ونصف بعد أن ابعدت أو أطلقت سراح من سجن معهما ، دفع المهاندة دون تخطيط الى هجرة وطنهم في وقت لم يعد لهجرة القبائل العربية مضمونها التاريخي ولا البيئة الحاضنة لها.

ويبدو ان حاكم قطر مؤيدا من الاسرة الحاكمة وسلطات الحماية البريطانية ، لم يستجب لطلب إطلاق سراح ناصر وأصر على استمرار سجنه ، مما جعل عائلته تشعر بالغبن والضيم وتهدد بالهجرة على أمل الاستجابة لها. وعندما شعر بقية المهاندة وسكان مدينة الخور والذخيرة و كل من يربطه مع حلف المهاندة صلة نسب او جيرة ، بأن هجرة المسند قد اصبحت وشيكة ، لم يسعهم إلا التضامن والتهديد بالهجرة معهم ، لعل الحكومة تستجيب لطلب فك سجن ناصر وحمد العطية.

ولكن حكومة قطر لم تستجب لطلب إطلاق سراح ناصر المسند ، وفي الوقت نفسه لم تقف عائقا أمام هجرة المهاندة ولم تسد باب العودة عليهم ، ربما لرغبتها في كسر ما تبقى من إرادة حركة ١٩٦٣ وتوقعها لما سيواجهه المهاندة في الكويت من صعوبات ، مشترطة فقط ان يكتب في جواز من يريد الهجرة مع المهاندة بأنه مهندي. هنا اضطر المهاندة وجيرانهم من أهل منطقة الخور والذخيرة الى البحث الجاد عن بلد يهاجرون إليه ، واختاروا الكويت لما يتمتع به المواطنون هناك من حقوق اقتصادية واجتماعية وحرية سياسية في عهد عبد الله السالم ودستور عام ١٩٦٣ ، مقارنة ببقية دول الخليج.

ويذكر من هم على صلة بتلك الهجرة ، أن حوالي ٢٥ شخصية من كبار المهاندة ، ذهبوا الى الكويت في سفينة بمحرك (لنج) يملكها محمد جولو ، أحد أهالي مدينة الخور. وفي الكويت قابل الوفد الشيخ عبد الله السالم حاكم الكويت ومسئولين آخرين في حكومة الكويت ، الذين رحبوا بقدوم المهاندة دون الدخول معهم في التفاصيل التي لم يطرحها الوفد أيضا. فقد كان وفد أهل الخور والذخيرة من المهاندة وحلفاؤهم معنيا بالترحيب أكثر من اهتمامهم بترتيب حياة النازحين لاحقا في الكويت وما تتطلبه من توفير سكن وفرص عمل مناسبة ومساواة بالمواطنين الكويتيين.

عاد الوفد من الكويت ، وبدأت الاستعدادات للهجرة التي لم تكن سهلة على المهاندة ومصدر حزن عميق صامت ، للشعب القطري الذي كسرت شوكته وأضعفت إرادته ، فعدد المقبلين على الهجرة حمية وتضامنا مع المسند عدد كبير ، يشمل سكان مدينة الخور وقرية الذخيرة وقرى داخلية أخرى وبقية المهاندة خارج تلك المنطقة ومن على صلة جيرة أو تحالف او نسب مع قبيلة المهاندة ومنهم عائلات كريمة من بني هاجر وغيرهم.

وجدير بالذكر أن قبيلة المهاندة من أكبر القبائل القطرية التي كان عدد افرادها حسب تقدير لورمر في دليل الخليج عام ١٩١٣ يبلغ ٢٥٠٠ فرد ولا بد أن عددهم قد تضاعف اكثر من مرة خلال خمسين عاماً .

وإذا كان لي ان أقدر عدد المهاجرين فإنني اعتقد بأنه حوالي ٥٠٠٠ فرد أو ما يقارب ٢٠% من عدد أفراد الشعب القطري آنذاك ، يشكلون حوالي ١٠٠٠ أسرة. فقد هاجر كل سكان الخور والذخيرة و اصبحنا خاليتان من أهلها ولم يبق من المهاندة إلا عدد من الاسر تعد على اصابع اليد. استقال العاملون في شركات نفط قطر من المهاندة البالغون ١٧٤ فرد من وظائفهم في كما تذكر المصادر البريطانية. وكذلك استقال العاملون من المهاندة في شركة شل والحكومة مما أضعف الحركة العمالية في شركات النفط على وجه الخصوص. وتخلى أعضاء منظمة سيارات الاجرة الوطنية عن مصدر رزقهم ، وأغلق بعض التجار منهم محلاتهم وصفوا أعمالهم ، واضطر الطلاب الى ترك مدارسهم بعد اسابيع من بداية العام الدراسي ١٩٦٤/١٩٦٥.

وقد كانت أطلال الخور والذخيرة بعد مغادرة المهاندة الكرام ، منظرا كئيبا مؤسفاً لمن يمر بهما ، بعد ان خلّت من سكانها. وقد سمعت والدي معبرا عن شعور عام بين أهل قطر ، يردد بصوت خنفته العبرة "حسبي الله ونعم الوكيل ، بيوت أهل الخور صارت خرابب " ، وكان ذلك الشعور الحزين شعورا عاما سائدا في قطر ، لم يتم التعبير عن مقتضياته جماعيا وبشكل علني بسبب الإحباط والضغط الامني الذي ساد قطر في ذلك الوقت. ومع ذلك لم يفت بعض الشعراء القطريين التعبير عن حزنهم علانا ، لهجرة المهاندة وأبرز هولا الشعراء سعيد بن سالم البديد المناعي الذي عبر مشكورا عن مشاعر أهل قطر بقصيدة معبرة ، أذكر منها الابيات المختارة التالية :

سهرت ليلى ارقب النجم وأدير فكري على ما صابكم ياهل الخور

جيت المنازل عقبكم والمقاصير آزت أثاراات عقب ما هي قصور

يادار ما أبقى لهم عاد تأثير قالت حشا ما خلفوا كود لقبور

شوف المنازل فوقها يلعي الطير من عقب ما غنى بها كل غندور

قلت اخبري يادار عنهم بتقرير قالت نورا يم ديرة العز والنور

يادار يوم إنك نوبتي بتتكير شاموا وخلوا منزل الخور للخور

غادر المهاندة قطر في هجرتهم إلى الكويت جماعات جماعات عن طريق البر في الغالب ، وكان ذلك في خريف ١٩٦٤ . ووصلوا الكويت عن طريق المنطقة الشرقية في المملكة العربية خلال شهر اكتوبر ١٩٦٤ ، حسب تقديري. أقام بعض المهاجرين في مساكن استؤجرت لهم وخصص لبعضهم بدل إيجار ، وسكن معظمهم في حي الرميثية في مدينة الكويت.

ولم يفت صحف الكويت التي تتمتع بحرية النشر في ظل دستور الكويت ومجلس الامة فيها ، ان تسجل تلك الهجرة مرحبة بمن أضر إليها ، محملة المسؤولية لحاكم قطر وسلطات الحماية البريطانية فيها ومطالبة بعودة المهاجرين إلى وطنهم للحفاظ على الهوية العربية لقطر التي كانت الهجرة الايرانية تهددها ، وذلك بعد تلبية مطالبهم وإطلاق سراج المسجونين وعودة المبعدين . وتشير الوثائق الانجليزية التي سبقت الاشارة إليها ، إلى مقالات كتبت في بعض الصحف الكويتية كما تشير إلى مراسلات بين عبد الله السالم وحاكم قطر تتصحح بالاستجابة لمطالب المهاجرين وإعادتهم لوطنهم ، ربما تحت ضغط السلطات البريطانية وبعض الدول العربية والجامعة العربية على الكويت من أجل دفع المهاندة على العودة لقطر ، إضافة للصعوبات القانونية التي قد تحول دون اكتسابهم الجنسية الكويتية التي يطمحون بها. وتورد المراسلات الانجليزية ترجمة لمقال مطول نشرته مجلة الطليعة الكويتية بتاريخ ٨ أو ٩ أكتوبر ١٩٦٤ ، يطرح قضية المهاندة التي قدر المقال عددهم بخمسة آلاف نسمة ، من منطلقات قومية عربية (٣).

رتب المهاندة أمور السكن بشكل مؤقت وقاموا بترتيب أمر مدارس البنات و الابناء الذين التحقوا بمدارس الكويت متأخرين عن موعد بدء الدراسة بعدة اسابيع ، إضافة الى مواجهة الاختلاف في مناهج الدراسة خاصة بالنسبة لدراسة اللغة الانجليزية. وبعد ذلك تم التفات المهاجرون الى مسألة العمل وكسب المعيشة ، ومواجهة نفقات الايجار بعد ان تنتهي المنح التي اعطيت لهم بشكل مؤقت لمواجهة عبء الايجار.

هنا بدأت المشاكل بالنسبة للمهاجرين تظهر ويزيد عبئها نتيجة عدم وجود تصور لترتيبات العمل والسكن بالنسبة للمهاندة الذين لم يتطرق لها وفدهم عندما زار الكويت طالبا الاذن بالهجرة ، ولم يكن لدى حكومة الكويت خطة لتوفير اعمال مناسبة للقادمين ، ربما لكثرتهم التي لم تتوقعها حكومة الكويت وحاجتهم الى فرص مساوية لمواطني الكويت بعد ان تركوا وطنهم وأعمالهم.

ويبدو أيضا ان حكومة الكويت قد واجهت ضغطا من سفارة بريطانيا في الكويت عبرت عنها مقابلات السفير البريطاني مع وزراء كويتيين أشارت لها الوثائق البريطانية المنوه عنها سابقا . كما واجهت ضغطا لأسباب مختلفة من الجامعة العربية لما قد تتركه هجرة المهاندة الى الكويت ومن قد يتبعهم من أهل قطر ، من احداث فراغ سكاني وضعف للوجود العربي في قطر. وكذلك واجهت الكويت ضغطا من بعض دول المنطقة وخاصة المملكة العربية في عهد الملك فيصل.

الأمر الذي جعل حكومة الكويت تعيد التفكير وتتأخر في توفير سبل الاستقرار للمهائنة الذين بدأت مدخراتهم تنفذ ، وزادت عليهم أعباء المعيشة في الكويت وفاقت قدرة معظمهم على توفير تلك الأعباء. وبعد حوالي ثلاثة أشهر من وصول المهائنة الى الكويت ، والتقاء كبارهم كل يوم في مجلس عبدالله المسند لمعرفة ما يمكن لحكومة الكويت تقديمه لهم من عمل وسكن كي يستقروا ، بدأ الصبر ينفذ والمدخرات تنضب دون ان يكون هناك حل في الافق لمشكلتي العمل والسكن.

وهنا ادرك المهائنة- وهم معذورون في ذلك - بانهم لن يتمكنوا من الاستقرار في الكويت وأن عودتهم لآباد منها الى الوطن ، فواجهت الصعاب فيه هي الحل. لذلك بدأ رجوع المهائنة إلى قطر بشكل فردي وفقا لما تتعرض له من عائلة منهم من ضغوط اقتصادية. وهنا انفرد عقد التضامن بعد ان اصبح من غير المستطاع ولا من المجدي الاستمرار في تحمل تبعات النزوح من دون نتيجة تترجي.

وذلك ما كان وما يجب أن يكون عليه حال أهل كل بلد في العصر الحديث و ما يجب ان يفكروا فيه. إذ أن تضامن المظلومين داخل الوطن مع بقية المواطنين والمطالبة بالحقوق فيه اجدى من الهجرة منه ، لاسيما أننا في زمن لم يعد لهجرة القبائل فيه مهما كثر افرادها ، تأثير على الحاكم أو تهديد لحكمه في عصر هيمنة الحاكم على عائدات النفط في ظل الحماية الاجنبية. أن هذا زمن تغيرت فيه العلاقات التقليدية واستغنى فيه الحاكم في دول الخليج - بعائدات النفط وقيام الاجنبي بالدفاع عن حكمه ، عن المواطنين والمجتمع الاهلي الوطني الذي اصبح الحكام ينظرون إليه باعتباره عبئاً وفائضاً يكلفهم إسكاته ، التنازل عن بعض من عائدات النفط لتوفير الخدمات وفرص العمل للمواطنين .

كانت عودة المهائنة من الكويت إلى قطر هي الحل العقلاني في ظل الضغوط على حكومة الكويت والوضع الذي وجد المهائنة انفسهم فيه ، مجرد مواطنين من الدرجة الثانية في احسن الاحوال. ولكن العودة كانت صعبة على النفوس والعزاء فيها تذكر حكمة مثال شعبي يقول " من خرج من داره قل مقداره " .

وبعد عدة شهور من الفراغ الذي تركه المهائنة في قطر عادوا ليملأوا الفراغ في منازلهم المشتاقة الى عودتهم ووطنهم الحزين على فراقهم ، بعد ان تحملوا ثمن الحمية والهجرة القبلية في زمن غير زمانهما. وبذلك طويت والله الحمد ، فكرة هجرة أهل قطر من وطنهم وأدرك الجميع أن عليهم ان يستخلصوا حقوقهم تدريجيا في وطنهم ، مهما نجحت السلطة في كسر إرادتهم لبعض الوقت ، فالشعوب أبقى من الحاكم الفرد وما ضاع حق وراءه مطالب.

في مطلع عام ١٩٦٥ عاد كل من هاجر من المهائنة إلى قطر واستقروا بعد فترة في منازلهم وباشروا اعمالهم والتحق الطلاب بمدارسهم بعد ان انتصف العام الدراسي ، باستثناء عبد الله بن علي المسند وأبنائه وعائلاتهم ، أولئك ظلوا في الكويت واستقروا فيها حتى لحق بهم ناصر المسند في مطلع شهر ديسمبر ١٩٦٥ بعد أن أطلق سراحه وابتعد من قطر عندما أستشهد حمد العطية في السجن بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٦٥ وخشيت السلطة على حياة ناصر باستمرار سجنه.

أستمر عبد الله المسند وأبنائه في الكويت ممنوعين من العودة لقطر حتى قيام "الحركة التصحيحية " في قطر عام ١٩٧٢ ، حيث عاد عبد الله المسند وأبنائه وعائلاتهم بعد ان اتصل بهم الشيخ خليفة بن حمد عندما تولى الحكم في قطر ، مرحبا بعودتهم إلى الوطن في عهد "الحركة التصحيحية " التي انتهت حكم الشيخ احمد بن علي وسعت للتخلص من تداعيات حركة ١٩٦٣ التي تصدر الشيخ أحمد بن علي واجهة المشهد فيها ودفع الثمن عندما انعزل عن المجتمع وابتعد عن تطلعات الشعب القطري.

أما ناصر المسند الذي انهمك في اعمال المقاولات في ليبيا متردداً على مصر والكويت ، فإنه لم يقبل العودة إلى قطر إلا عام ١٩٧٧ عندما بدت عليه أعراض المرض الذي لاحظته شخصيا وتحدثت مع أحد أبنائه عن أعراضه ، عند زيارتي للسلام عليه بعد عودته ، وظل يكابده لمدة عشرين عاماً منعزلاً عن الناس حتى وفاته في عام ٢٠٠٧ ، حيث رثيته في مقال نشر وانتشر بشكل واسع باعتباره رمزا وطنيا من رموز حركة ١٩٦٣ (٤).

الملاحظات

- ١- علي خليفه الكواري ، تنمية للضياع !! أم ضياع لفرص التنمية مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة الثاني ١٩٩٦ . ص ٢٠١-٢٢١ .
- ٢- أنظر

Anital L Burdatt Editor ,RECORD OF QATAR 1961-1965, Archieve Editions 1997 : PP 152-160.

- ٣- المصدر السابق صفحة ٢٥٢-٢٥٥ .
- ٤- علي خليفه الكواري ، "رحم الله ناصر المسند الرجل الرمز" : أنظر كتابي "العين بصيرة" ، منتدى المعارف، بيروت، الطبعة الثانية ٢٠١٣ ، صفحة ٤٣٣-٤٣٦ .

منعى من دخول مصر وتوابعه

أبى عام التدايعيات والحزن في قطر ، عام ١٩٦٤ ، إلا ان يكون لي فيه نصيب شخصي متواضع من تبعات حركة ١٩٦٣ ، وذلك حين قررت العودة للدراسة في مصر للسنة الثالثة على حسابي الخاص بعد ان قضيت الاجازة الصيفية في قطر في جوها الحزين ، الذي ساد منذ أن أعتقل وأبعد عدد من الموقعين على عريضة لجنة الاتحاد الوطني وازدادت وحدته باضطرار المهاندة للهجرة من قطر وبدء استعداداتهم للهجرة إلى الكويت في خريف ذلك العام الحزين.

قررت العودة للدراسة في مصر على حسابي الخاص بعد أن تجاهل الشيخ أحمد بن علي حاكم قطر رسالتي (١) التي قدمتها له شخصيا بتاريخ ١٩٦٤/٨/٨ دون ان يصحبنى - بناء على رغبتى - احد من الاهل أو الأقباء ، وقد بينت فيها أن الاسباب التي تذرعت بها وزارة المعارف بقولها أي ممنوع من دخول مصر عند قطع البعثة الدراسية عني منذ عام ، هي أسباب غير صحيحة. وبينت للشيخ احمد بأنني سافرت إلى مصر في العام الدراسي الماضي بعد فصلي من البعثة ولم امع حينها من الدخول ، بل واصلت الدراسة ونجحت بدرجة جيد في السنة الثانية بقسم الاقتصاد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة.

وكنت اعتقد أنني بشرحي المنطقي هذا وإنجازي الدراسي سوف أجد أذنأ صاغية لدى الشيخ احمد الذي عرفته من قبل ، وذلك أسوة ببعض زملائي الذين أعاد اليهم الشيخ احمد البعثة. وقد لاحظت عند شرح وضعي وتقديم طلبي ، كأن الشيخ احمد قد فوجئ بأنني مازلت ادرس في مصر على حسابي بعد ان قطعت عني البعثة الدراسية ، وقال بعد استلام رسالتي والاستماع إلى شرحي " يصير خير " . و" يصير خير " ، جملة غامضة تحمل وجهين ، أما انها قد تعني وعدا بالنظر في قضيتي واما انها قد تحمل وعيدا بان ما قيل عن الابعاد سوف يتحقق.

مرت الاجازة الصيفية ولم اجد استجابة لطلبي ولم يتحقق الوعد كما املت ، فقررت العودة الى القاهرة للدراسة على حسابي الخاص في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية إلى حين نيل الشهادة الجامعية والتي لم يبق على نيلها سوى عامين ، يعينني الله على نفقاتهما. ودعت والدي والأهل والأصدقاء الذين تعاطفوا معي وشدوا من ازري وشجعوني على مواصلة الدراسة بالرغم من الصعوبات.

غادرت الدوحة إلى القاهرة عن طريق بيروت في شهر سبتمبر ١٩٦٤. ووصلت القاهرة في مساء اليوم التالي لسفري. وعند وصولي الى مطار القاهرة وتقديم جواز سفري الى الضابط المختص فوجئت بتردده ، ثم طلبه مني الانتظار لبعض الوقت. وبعد دقائق أتى ضابط آخر أخذني الى طريق غير طريق الخروج من المطار ، أخذني إلى صالة فيها عدد من الاشخاص ينتظرون البت في أمرهم ، ولا استبعد ان يكون بينهم مخبرون عرب للتأثير على المنتظرين القلقين من أمثالي في تلك الصالة الكئيبة المشبعة برائحة التدخين ، فربما افصحوا أثناء الدردشة مع الموقعين عن اسرار يعرفونها أو مسائل يخشونها ، قد تفيد جهاز المخابرات قبل إبعادهم.

انتظرت صامتا متوقعا التحقيق ومعرفة السبب ، ولكن يبدو انه لم يكن هناك سبب وإنما هي محض أوامر بالمنع من دخول مصر ربما تحقيقا للوعيد الذي سبقت الاشارة إليه والذي قد يكون وجد طريقه عبر قنوات الاواني المستطرقة لعلاقة رجال الحكومات ببعض ، أو ربما كان المنع من الدخول قد جاء من ضمن حملة الإبعاد والمنع من دخول مصر التي تعرض له عدد من الطلاب العرب الدارسين فيها.

جلست صامتا ولم أتبادل الحديث مع بقية الموقعين من باب الحذر ، وبعد ساعات وفي حوالي منتصف الليل أبلغني الضابط المختص بأنني غير مصرح لي بدخول مصر ، وعلي العودة من حيث جئت صباح يوم الغد على اول طائرة مغادرة إلى بيروت. حاولت اقناع الضابط بضرورة إعطائي مهلة كي أخذ كتبي وملابسي من سكني في شقة الدقي وان أحصل على شهادة من الكلية تفيد بنجاحي وبلوغي المستوى الدراسي الذي اجتزته في كلية الاقتصاد وتفصيل العلامات التي حصلت عليها في كل مادة ، فمستقبلي الدراسي يتوقف على تلك الشهادة التفصيلية. ولست اذكر اليوم ان كان الضابط قد كثر أو ابتسم مستهزئاً بطلبي حين رد قائلأ بحدّة ، سوف تغادر غدا صباحا أو توضع في الحجز هنا في المطار ، وأنصحك بأن تسافر غدا على اول طائرات الشرق الاوسط المغادرة إلى بيروت. وأردف الضابط هل تريد ان

تقضي ليبتك هنا او تحب ان تسكن في فندق المطار على حسابك تحت مراقبتنا ، فقلت له بل اسكن فندق المطار على حسابي وأمرني الله.

قضيت ليلة وجلة على سرير الفندق ، نلت فيها القليل من النوم ، أضرب أحماساً في اسداس حول ما يجب علي عمله لمواجهة ذلك الموقف الجديد الذي حرمني من تحقيق حلمي في الدراسة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة. إلى أين اذهب ؟ وأي جامعة عربية لديها تخصص في علم الاقتصاد ؟ ومن اين لي بالقدرة على نفقات الدراسة خارج مصر ، التي كانت الرسوم الجامعية فيها ضئيلة وتكلفة المعيشة مقدور عليها. و فوق هذا كله كيف احصل على شهادة تفصيلية من الكلية تبين السنوات التي اجتزتها والمواد التي درستها ومستواي في كل منها. سوف اخرج من مصر خالي الوفاق دون كتبي وملابسي وهي كل ثروتي ، ودون شهادة رسمية تفيد تحصيلي خلال عامين اجتهدت فيهما ونجحت.

أدركني الصباح وجاء موعد تنفيذ الوعيد وأنا في حيرة من أمري ، كل ما كنت متأكدا منه هو انني سوف أغادر القاهرة بعد ساعات وعلي التفكير في أمري وإعادة تأسيس حياتي الدراسية وتحقيق طموحي. ومن أجل ذلك علي ان أعود إلى قطر وارتب وضعي من جديد. وبعد تناول الافطار في الفندق استلمني رجل امن وأخذني إلى قاعة المسافرين حيث اشتريت تذكرة إلى الدوحة عن طريق بيروت ذهابا دون إياب ، وبعدها انهيت إجراءات السفر وتوجهت من خلال الامن الى الطائرة بصحبة رجل الامن الذي سلمني جواز سفري عند مدخل الطائرة.

أقمت في بيروت في فندق متواضع في ساحة البرج ، واتصلت بالزميل عبد اللطيف الجابر الذي انتقل لدراسة الحقوق في جامعة بيروت العربية وسكن في حارة حريك. كما قمت بزيارة هتمي وسلطان الهتمي من مبعدي حركة ١٩٦٣ ، في شقتهم في حي المزرعة للسلام وتبادلنا الهموم والاهتمامات معهما. وبعد ايام قليلة غادرت إلى قطر لأرتب أموري وأعيد تأسيس حياتي الدراسية.

عندما عدت إلى قطر كان أمامي امران لا بد من انجازهما قبل التفكير في مواصلة الدراسة الجامعية في بلد عربي. أولهما كيفية الحصول على شهادة من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية تفيد اجتياز السنة الثانية بقسم الاقتصاد بالكلية وتبين بالتفصيل المواد التي درستها مع ذكر الدرجات التي حصلت عليها إلى جانب التقدير لكل مادة والتقدير العام للسنة الاولى والسنة الثانية. وتلك الشهادة التي حرمت منها عند منعي من خول مصر يتوقف عليها مستقبلي ومواصلة الدراسة التي تمثل الهدف الاستراتيجي الذي لن أقايضه بأي بديل آخر.

وبعد تفكير لم يطل قدرت بأن أفضل شخص أتصل به وأنشد مساعدته في الحصول على هذه الشهادة المصرية ، هو صديقي وزميلي في قسم الاقتصاد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية غيث سالم سيف النصر ، ولم يخب ظني فيه. فقد اتصل بي غيث حال وصول رسالتي اليه مؤكدا سعيه الحثيث للحصول على تلك الشهادة ان شاء الله. وغيث ابن عائلة عربية ليبية كريمة ذات مكانة اجتماعية وسياسية ، تعتبر مصر موطنها مثلما هي ليبيا وطنها ، وهو راغب وقادر على مساعدتي بالرغم من صعوبة مهمة استخراج شهادة لطالب منع من دخول مصر.

والأمر الآخر الذي كان علي ان أتدبره في قطر هو الحصول على عمل لبضعة اشهر في انتظار وصول الشهادة من القاهرة والبحث عن جامعة مناسبة ، وكذلك من أجل توفير مصاريف و نفقات الدراسة لاتمكن من التفرغ لها. وعندما بدأت البحث عن عمل وجدت انني لا استطيع أن أعود لعملي في وزارة المعارف فأنا ممنوع من العمل في الحكومة منذ ان فصلت من البعثة الدراسية في عام ١٩٦٣ ، وعندما بدأت البحث عن العمل في شركات النفط وجدت أن أمر منعي من العمل قد شملها وامتد اليها. وهنا سدّت في وجهي سبل العمل المناسبة ، وليس امامي الكثير من الفرص ولا لدي الوقت الذي يسمح لي بأن افتتح مشروعا تجاريا. ولكنني لم أياس وطرقت باب كل عمل شريف وأخيرا وجدته لدى مقاول أمريكي يقوم بأعمال المسح الجيوفيزيائي عن النفط منتقلا في صحراء قطر لصالح شركة نفط قطر ، و الذي على ما يبدو لم يبلغه أمر منعي من العمل.

لم أتردد في قبول العمل الذي تطلب مني العيش في خيمة مع فريق التنقيب في منطقة صحراوية غرب شمال قطر ، منتقلا من موقع إلى آخر كل شهر تقريبا. كان فريق العمل يتكون من حوالي ٤٥ عاملاً وسائقاً كلهم من القطريين

وذلك لندرة فرص العمل الاخرى بالنسبة للقطريين ، كانوا يسكنون حوالي ٢٠ خيمة وكانت وظيفتي هي مشرف اداري Camp Boss ومهمتي الترجمة و الاشراف على شؤون العمال ، من سكن ومأكل وتنقل وصرف رواتب وإجازات وخلافه من الشؤون الادارية. خصصت لي خيمة للسكن لوحدي بينما يسكن بقية العاملين كل اثنين أو اكثر في خيمة واحدة ، وقد كانت علاقتي مباشرة مع رئيس الفريق الامريكي الذي كنت اشعر بتعاطفه معي إلى جانب شكه وحذره من علاقتي الطيبة مع العاملين القطريين. وقد عرفت منه ذلك أثناء مرافقتي له إلى الدوحة في سيارته الفولكس واجن التي يملكها ، فقد قال لي: اعرف انك غير مرضٍ عنك من قبل الحكومة ولكن ارجو منك ألا تخلق لنا مشاكل. وقد طمأننته بأنني هنا للعمل لفترة قصيرة حتى تصل شهادتي من القاهرة.

بدأت العمل في شهر أكتوبر ١٩٦٤ وكان موقع العمل قريباً من الجميلية غرب قطر ، حيث كنا نقضي ايام العمل من السبت إلى الخميس في موقع العمل ونذهب من مساء الخميس إلى مساء الجمعة إلى الدوحة وبقية قرى قطر كل حسب سكن عائلته. كان عدد العاملين القطريين حوالي ٤٥ شخصاً بالإضافة إلى ثلاثة من الامريكان يسكنون غير بعيد عنا ، في كبائن متنقلة على عجلات مجهزة للسكن المريح ومكيفة ، بينما لا يوجد تجهيز مناسب أو تكييف في خيام القطريين وإنما إنارة كهربائية فقط.

وأذكر مرة عندما كنا ننتقل من موقع للعمل إلى آخر في حر بداية الخريف أن الامريكان استقروا في سكنهم حال وصولنا وبمجرد تشغيل مولد الكهرباء ، بينما كان علينا نحن القطريين ان ننظف الارض ونبنى الخيام ونوصل تمديدات الكهرباء و ننتظر ساعات حتى يبرد الماء ونقوم بتجهيز الطعام. وفي تلك المرة من مرات الانتقال من موقع إلى آخر ، رأيت الامريكان يشربون البيسي كولا باردة من ثلاجاتهم وأحسست بعطش شديد ورغبة في شرب البيسي كولا الباردة بشكل لم أشعر به في حياتي من قبل ولا من بعد ، ولكن تلك الرغبة الجامحة لم يكن لدي وسيلة لتلبيتها ، وأبت كرامتي ان أتوسل تحقيقها.

كان جميع العاملين من القطريين عدا الامريكان الثلاثة كما سبقت الإشارة . وما زلت اذكر من زملاء العمل أكبرنا سنا وهو عبد الله (بودهيش) الشريم من أهل الرميلة وكان من العائدين من الهجرة إلى المملكة العربية أو البحرين. كان عبد الله ذو معرفة بالإحداث المحلية وهو متحدث لبق يروي لنا الأخبار والحكايات بصوت هادئ متمهل. وكان كثير الذكر لوالده الذي يروي عنه. واذكره مرة يقول " عندي أبو ... " ثم يصمت بعض الوقت من باب التشويق فيرد عليه الحضور أكمل كلنا عندنا (أبهات) أي آباء ، فيكمل " عندي أبو يحب السفر ... يركب الغوص في الصيف ... ويذهب إلى زنجبار ومباسا والهند في الشتاء ... للتجارة ونقل البضائع من ميناء إلى آخر " . وقد كانت خيمة عبد الله الشريم ملتقى القطريين في المساء يحكي حكاياته والأخرون يشاغبونه حتى تنتهي السهرة حوالي التاسعة مساء استعدادا للعمل المبكر في الساعة السادسة صباح اليوم التالي.

وأذكر من زملاء العمل ايضا علي المحين من أهل الريان وعنبر سالم من فريج الهنمي وخميس العدساني من أهل الدوحة وبركات وجابر بن غيث الكواري من فريج بن عمران ومحمد الهديفي وهلال محمد الذي اصبح ممثلا مشهورا فيما بعد وسعيد بن عبدالله الكعبي من قرية المشرب وهندي الكعبي عدد من الكعبان الكرام من أهل أم الغليم قرب الغشامية. وكذلك محمد الملخص وهجاج الهاجري ومحمد وحسين من أهل سميسمه ومحمد بن عبدالرحمن وعلي بن ابراهيم المطاوعة الذي ربطتني به صداقة ، ربما لتقاربنا في السن وكنت اقضي جزءاً من وقت الاجازة معه في الدوحة. وهناك عدد آخر من القطريين لا تحضرني اسماؤهم الكريمة واعتذر عن ذلك.

بعد مدة من العمل مع شركة المسح فكرت ان أعمل شيئاً من أجل تعليم العاملين القطريين في المساء ، منافسا لجلسات عبدالله بودهيش الجذابة والمسلية . ذهبت إلى وزارة المعارف وطلبت كتب تعليم الكبار من الصف الاول إلى الثالث وأحضرت لوحاً اسود وطباشير وفتحت المجال لمن يرغب في تعلم القراءة والكتابة وربما التقدم لامتحان صفوف الدراسة الابتدائية. بدأنا الدراسة في الخيمة التي اسكنها بحضور عدد قليل من العاملين للدروس ، وكانوا في الغالب ممن لم يدخل المدرسة او يتعلم القراءة والكتابة. وكنت اعطي الفرصة لكل فرد حسب قدرته على التعلم . بدأنا بكتب القراءة للصف الاول ومن استطاع ان يتقدم بدأت معه في دراسة كتب الصف الثاني والثالث.

نجحت محاولة الاستفادة من الوقت الضائع ، وبدأ بعض الدارسين يأخذون المسألة مأخذ الجد ويتطورون بسرعة ، وطموحهم لنيل الشهادة الابتدائية يتزايد. وقد سعدت بذلك وبدأنا قراءة المجلات إلى جانب الكتب الدراسية حالما

يتعلم الدارس القراءة. وقد برز من بين الملتحقين بدراسة الوقت الضائع ، عدد من الدارسين الذين واصلوا الدراسة في المدارس الليلية بعد ان تركت العمل معهم والتحقوا بالدراسة الجامعية في دمشق ، حتى نالوا الشهادة الابتدائية والتحقوا بالعمل الكتابي في الحكومة اذكر منهم سعيد بن عبد الله الكعبي وهجاج الهاجري اللذين التحقا بالعمل الكتابي في إدارة المياه بحكومة قطر ، وذلك بعد بضع سنوات من تلك التجربة البسيطة لكسر حاجز أمية القراءة والكتابة لديهما حيث نما حب العلم والتوجه للدراسة الليلية. وكم كنت سعيدا عندما علمت بذلك بعد عودتي من الدراسة الجامعية والنقائي بهما.

ولا يفوتني أن اذكر أن خريف عام ١٩٦٤ قد شهد أمطار "الوسمي" المباركة وفي الشتاء ظهر الفقع (الكماة) وكان العاملين في المسح الجيوفيزيائي يعود كل منهم بحصيلة متفاوتة بقدر خبرته في البحث عن الفقع ومعرفة مكانه وتحري مواقعها. وقد جربت حظي في البحث في المناطق المحيطة بمنطقة السكن حيث استطعت المشي ، ولم يكن نصيبي كبير مثل من يذهب بعيدا ويتنقل في مناطق جديدة من يوم إلى آخر. وفي كل الاحوال تمتعت برياضة المشي في الصحراء عندما تزهر شجيرات العوسج فيها ويكسى ارضها العشب الاخضر. كما استغرقت أحيانا في تأمل وضعي وحالة قطر وأهلها في عام الضيق والحزن.

استمر عملي ذاك منتقلا مع شركة المسح الجيوفيزيائي من منطقة إلى أخرى حتى وصلنا منطقة قريبة من قرية الغشامية التي ولدت فيها حوالي عام ١٩٤١. وهناك تعرفت عن قرب الى خليفة بن ناصر(طوار) الكواري الذي التقيته عام ١٩٥٣ في الغارية عندما اجتمع البوكوارة لتقديم عريضة يطالبون فيها حاكم قطر بنصيب من عائدات النفط. توطدت علاقتي بالوالد خليفة بن ناصر الذي أهداني بندقية صيد قديمة ، كما حرص على دعوة الامريكان الى فطور قطري في مجلسه في الغشامية باعتباره كبير المنطقة وأحد وجهاء البوكوارة.

وفي شهر مارس عام ١٩٦٥ بعد أقل من ستة أشهر من العمل مع شركة المسح منتقلا في صحراء قطر ، قدمت استقالتي والتحق بجامعة دمشق في السنة الثالثة بكلية التجارة قسم إدارة الاعمال ، وذلك فور وصول شهادتي الدراسية من كلية الاقتصاد التي استخرجها مشكورا بعد عناء ، زميلي وصديقي غيث سالم سيف النصر.

علي خليفة الكواري

الملاحظات

- ١ - أنظر نص رسالتي للشيخ احمد على الرابط التالي في موقعي
<http://dr-alkuwari.net/sites/akak/files/to-qatar-ruller-1960.pdf>